الدلالات ومقاصدها في تفسير الرياض للخروبي

(سورة النور أنموذجا)

■ أ.خالد حسين إسماعيل*

● تاريخ استلام البحث 2023/05/03م ● تاريخ قبول البحث 2023/06/19م

■ **الملخص :**

تناول هذا البحث جملة من الدلالات الفقهية والأصولية والتربوية وبيان مقاصدها المستنبطة من سورة النور، من خلال تفسير رياض الأزهار وكنز الأسرار، الذي هو لأحد أبرز علماء ليبيا في القرن العاشر الهجري، الشيخ محمد بن علي الخروبي- رحمه الله- واقتصر الباحث في دراسته على استنباط الدلالات الفقهية والأصولية والتربوية التي أشار إليها الشيخ مُبرزاً مقاصدها، ومعتمدا في ذلك على المنهجين: الاستقرائي والتحليلي، ومبينا أهم الأحكام الفقهية والأصولية والتربوية المستفادة من هذه الدلالات، ومعرفة الأساليب التي استعملها في عرضه لهذه الدلالات، واختار الباحث دراسة تسعة مواضع، قُسِّمَت على ثلاثة مطالب، كل مطلب يحتوي على ثلاثة مواضع، وقد تبين من خلال هذه الدراسة أن المؤلف اعتنى بالجانب الفقهي والأصولي، وفي الوقت نفسه لم يهمل الجانب التربوي، وفي جميع ما ذكرنا تجنب الولوج في مسائل الخلاف.

● **الكلمات المفتاحية:** الخروبي، الدلالات، التفسير، الأصولية، الفقهية.

■ **Abstract:**

This research dealt with a number of jurisprudential, fundamentalist and educational indications and the statement of its intent derived from Surat Al-Nour, through the interpretation of: (Riyad al-Azhar and the Treasure of Secrets), which is for one of the most prominent Libyan scholars in the tenth century AH, Sheikh Muhammad bin Ali al-Kharoubi - may God have mercy on him - and the researcher confined himself to His study is to

* محاضر بقسم الدراسات الإسلامية- كلية التربية- جامعة مصراتة E-mail: khaled.esmail1010@gmail.com

derive the jurisprudential, fundamentalist and educational indications that the sheikh referred to, highlighting their purposes, and relying in that on the two approaches: inductive and analytical, and indicating the most important jurisprudential, fundamentalist and educational rulings learned from these indications, and knowing the methods he used in presenting these indications, The researcher chose to study nine subjects, divided into three demands, each claim containing three subjects, and it was found through this study that the author took care of the jurisprudential and fundamentalist side, and at the same time he did not neglect the educational aspect, and in all of what we mentioned he avoided entering into issues of disagreement.

● **Keywords :** Al-Kharoubi, semantics, interpretation, fundamentalism, jurisprudence.

■ **مقدمة:**

الحمد لله واسع الفضل ومسبغ النعم، أنعم علينا بالإسلام، ومنَّ علينا بالقرآن، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين أما بعد؛ فقد هيأ الله لهذه الأمة علماء أفنوا أعمارهم وأنفقوا أوقاتهم لخدمة كتاب الله العزيز تدريسا وتصنيفا، وتعلما وتعليما، ومن هؤلاء الأعلام الفضلاء الراسخين، الذين أكملوا مسيرة العلماء المتقدمين في الاشتغال بتفسير كتاب الله، وبيانه للناس وإظهار معانيه في القرن العاشر الهجري، الشيخ محمد بن علي الخروبي، الذي ألف عدة كتب ورسائل، وكان من أشهرها وأهمها كتابه الموسوم بـ:(**رياض الأزهار وكنز الأسرار**)، فقد حمل هذا السفر النفيس في طياته الكثير من الأحكام والفوائد الفقهية والأصولية والتربوية، ما جعل الكتاب ميدان دراسة واهتمام لدى الدارسين والباحثين، وكان هذا البحث بعنوان: **الدلالات ومقاصدها في تفسير الرياض للخروبي (سورة النور أنموذجا)**.

أهمية البحث: تظهر أهمية البحث بأنه باب من أبواب خدمة التراث الليبي المتعلق بتفسير القرآن العظيم، وبيان لجهود علَم من أعلام بلادنا، كما يبرز جهد المؤلف في إبراز الدلالات الفقهية والأصولية والتربوية التي بثها بين ثنايا كتابه، ومعرفة منهجه وأسلوبه الذي سار عليه في ذلك.

■ الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى استنباط الدلالات الفقهية والأصولية والتربوية التي أشار إليها المؤلف من خلال تفسيره لسورة النور، ودراسة الأثر الفقهي والأصولي والتربوي المستنبط من هذه الدلالات وبيان مقاصدها، وكيف كان علماؤنا يبنون هذا العِلْم من خلال النظر والتأمل في مكنون عباراتهم وما حوته كتبهم.

حدود الدراسة: دراسة نماذج من الدلالات الفقهية والأصولية والتربوية المستنبطة من سورة النور، وقد اعتمد الباحث في استخراج هذه الدلالات على الرسالة العلمية المقدمة من الباحث: موسى حسن ضو، للحصول على درجة الماجستير، جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم، ترهونة، ليبيا، 2008م، واتبعت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي في استخراج الدلالات الفقهية والأصولية والتربوية، والمنهج التحليلي في دراسة هذه الدلالات.

■ إشكالية البحث:

تكمن إشكالية البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1- ما المقصود بالدلالات الفقهية والأصولية والتربوية؟.

2- ما الدلالات الفقهية والأصولية والتربوية المستنبطة من سورة النور؟.

3- ما ثمرة الدلالات الفقهية والأصولية والتربوية ومقاصدها التي أشار إليها المؤلف من خلال تفسيره لسورة النور؟.

4- ما الأساليب التي استعملها المؤلف في التعبير عن هذه الدلالات عند تفسيره لسورة النور؟.

5- ما القواعد الأصولية ومصادرها التي أشار إليها المؤلف عند تفسيره لسورة النور؟.

■ الدراسات السابقة:

بعد البحث لم أقف على من أفرد الدلالات الفقهية والأصولية والتربوية المستنبطة من تفسير رياض الأزهار وكنز الأسرار من خلال سورة النور بدراسة مستقلة، وإنما هناك

دراسات تناولت منهج المؤلف في كتابه، ودراسات تناولت الجانب الفقهي، ودراسات تناولت الجانب اللغوي، وأخرى تناولت منهجه في التفسير، ودراسات تناولت جانب القراءات، وغيرها، وتنوعت هذه الدراسات بين رسائل علمية وأوراق بحثية، كما تنوعت في طرحها ودراستها لهذه الجوانب، بالإضافة إلى الدراسات التي تناولت تحقيق هذا التفسير[1]، ومن أهم هذه الدراسات:

1- منهج الإمام الخروبي في تفسيره رياض الأزهار وكنز الأسرار، للباحث: محمد مصباح البرغوثي، مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة، (د.ط) 2018م.

2- التفسير اللغوي في رياض الأزهار وكنز الأسرار، للباحثة: انتصار المهدي التومي، المؤتمر الدولي الأول حول الجهود الليبية في تفسير القرآن وعلومه، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، البيضاء، اكتوبر2021م.

3- منهج الشيخ الخروبي في توجيه القراءات من خلال تفسيره الموسوم بـ(رياض الأزهار وكنز الأسرار)، للباحث: أبوبكر إبراهيم خليفة السراري، المؤتمر الدولي الأول حول الجهود الليبية في تفسير القرآن وعلومه، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، البيضاء، اكتوبر2021م.

4- القضايا الفقهية في تفسير رياض الأزهار وكنز الأسرار، دراسة وتحليل، للباحثة: فاطمة بشير كشلاف، رسالة دكتوراه، جامعة المنيا، كلية دار العلوم، 2013م.

5- منهج الخروبي في التفسير، للباحث: عبد الله امحمد جمعة، مجلة الجامعة الأسمرية: المجلد33، العدد: الأول، يونيو2020م.

- **تمهيد:**

- **الفرع الأول:**

التعريف بالمؤلِّف:(محمد بن علي الخروبي)

أولا- اسمه ونسبه: هو محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، عالم من علماء ليبيا في القرن العاشر الهجري، وهو من طرابلس الغرب[2].

ثانيا- مولده وحياته العلمية: ولد المؤلف سنة (889هـ، 1485م)[3]، في قرية من قرى طرابلس تسمى: قرقارش، وبها مسجد يسمى: مسجد الخروبي، تولّت والدته رعايته وتربيته بعد أن توفي والده الشيخ علي الخروبي، وقد حرصَت على تعليمه الآداب وتربيته التربية الصحيحة[4].

ويعتبر المؤلف فقيها أصوليا مفسراً، من علماء المالكية، من بيت علم، يتمتع باطلاع واسع، وإحاطة بعلوم مختلفة، ومكانة علمية رفيعة، متين الحفظ، له أسلوب بليغ محكم، وهو أشهر تلاميذ الشيخ أحمد زروق، وقد تأثر به كثيرا في تربيته وعلمه وسلوكه، وله عديد الكتب اهتم في معظمها بشرح رسائله، كما سار على نهجه في التقيد بالكتاب والسنة ومحاربة البدع[5]، وبعد أخذه العلم في طرابلس، ومصراتة، وصفاقس، استقر الخروبي في الجزائر وعاش بقية حياته؛ للتدريس والخطابة، فكانت له شهرة واسعة، ومكانة عالية عند الحكام، وسافر إلى المغرب مرتين، الأولى سنة (959هـ) فعقد صلحا بين الأتراك وسلطان فاس، والثانية سنة (961هـ) بقصد عقد هدنة بين الأتراك والسعديين[6].

ثالثا- شيوخه وتلاميذه: أما شيوخه: فدرس المؤلف على يد مجموعة من أهل العلم الفضلاء[7]، فأخذ عن علي الخروبي (والده)، وقاسم بن قلاع الطرابلسي، ويحيى بن علي البجائي، ومحمد بن عبد الرحمن الحطاب، وأحمد زروق، ومحمد زيتون الفاسي[8].

وأما تلاميذه: فتتلمذ على يديه مجموعة من طلبة العلم، منهم: علال الحاج البقالي الغزاوي، أخذ عنه الطريقة الزروقية، ومحمد بن أحمد بن محمد الحضري الزرولي، ومحمد بن يوسف الترغي[9].

رابعا- مصنفاته: ترك المؤلف عدة مصنفات في مختلف العلوم تدل على تبحره وعلمه، منها: رياض الأزهار وكنز الأسرار- سيأتي الكلام عنه - والأنس في التنبيه على عيوب النفس[10]، ومزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس[11]، وكفاية المريد وحلية العبيد[12]، والحكم الكبرى[13].

خامسا وفاته: بعد رحلة قضاها الشيخ محمد بن علي الخروبي في تعلم العلم وتعليمه

مليئة بالعطاء والتأليف والإصلاح، توفي- رحمه الله رحمةً واسعة- سنة (963هـ - 1556م) بالجزائر[14].

● **الفرع الثاني:**

التعريف بالمؤلَّف: (رياض الأزهار وكنز الأسرار).

يعتبر كتاب رياض الأزهار وكنز الأسرار من أشهر ما تركه الخروبي من مؤلفات، ففسر فيه القرآن العظيم كاملا، ولا شك أن هذا العمل جهد علمي عظيم، وإضافة علمية كبيرة لمكتبات العالم، وهو يمتاز بخلوه من الإطناب والتعقيد والسرد والتطويل فيما يتعلق بمسائل العقيدة، وعلم التصوف، واختلافات الفقهاء والأصوليين، فاقتصر على ما يفيد من بيان حكم شرعي أو لغوي أو بلاغي بأسلوب مختصر بليغ يفهمه عامة الناس وخاصتهم[15].

ومن مقاصد تأليف الخروبي لهذا الكتاب أن يجمع فيه بين الشريعة والحقيقة، أي: بين الأحكام الظاهرة والأسرار الربانية الصوفية، فجمع فيه بين نوعين من أنواع التفسير، وهما التفسير بالظاهر وسمّاه: (الشريعة)، وهو الذي اعتمد فيه على بيان الألفاظ والنصوص القرآنية وتفسير دلالاتها، مستعينا في ذلك بعلوم اللغة والنحو والبيان، والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول، وغير ذلك من العلوم، والنوع الثاني: التفسير بالباطن، وسمّاه: (الحقيقة) وهو ما استنبطه المؤلف من معان لطيفة وإشارات وأسرار خفية من الألفاظ والآيات القرآنية[16]، كما اعتمد على التفسير بالمأثور، ففسر القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين، متأثرا في ذلك بمن سبقه من المفسرين، وأبرزهم ابن عطية من خلال تفسيره المحرر الوجيز، والثعالبي من خلال تفسيره الجواهر الحسان[17].

أما من حيث المصادر فاعتمد المؤلف على عدة مصادر، منها: جامع البيان للطبري، وأحكام القرآن لابن العربي، والكشاف للزمخشري، بالإضافة إلى تفسير المحرر الوجيز لابن عطية، والجواهر الحسان للثعالبي، اللذين كانا المرجعين الأساسيين لهذا الكتاب مع عدم الاعتماد عليهما كليا، إلى غير ذلك من كتب القراءات والفقه والحديث واللغة والنحو والشعر والتصوف التي اعتمد عليها في كتابه[18].

الفرع الثالث:

المقصود من الدلالات الفقهية والأصولية والتربوية.

ما أمكن للباحث استنباطه من الأحكام الفقهية، واستثماره من القواعد الأصولية، واستنتاجه من التوجيهات التربوية بعد النظر والتأمل في كلام المؤلف عند تفسيره لهذه السورة، مع بيان الأحكام والمقاصد المترتبة على ذلك، وقد اختار الباحث ثلاثة مواضع لكل دلالة من الدلالات السابقة المشار إليها.

■ المطلب الأول:

الدلالات الفقهية ومقاصدها المستنبطة من سورة النور.

يلاحظ القارئ لتفسير سورة النور في رياض الأزهار وكنز الأسرار أن مؤلفه أودع فيه عددا من الدلالات الفقهية جديرة بالنظر والدراسة، وفيما يأتي نذكر مواضع من هذه الدلالات:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَآءِ﴾[19].

قال المؤلف: «والآية شاملة للمجبوبين، والمعتوهين، والمخنثين، والشيخ الفاني، والزَّمِن، ونحو هذا»[20].

● الدراسة:

أمر الله النساء كما أمر الرجال بغض الأبصار وحفظ الفروج، وأنه لا يجوز للمرأة أن تظهر زينتها أمام الرجال إلا من استثنتهم الآية، فذكر المؤلف أن من الذين يجوز إظهار الزينة الخفيفة أمامهم من غير قصد إظهارها: المجبوب، وهو مقطوع الذكر[21]، والمعتوه، وهو ناقص العقل[22]، والمخنث، وهو الذي له ما للرجال والنساء جميعا [23]، والشيخ الفاني، وهو الشيخ الكبير[24]، والزَّمِن، وهو صاحب العاهة المستمرة [25]، ولعل العلة في ذلك أن الغالب في هذه الفئات لا حاجة لهم في النساء أو في الوطء، وأن مَنْ هذه صفاتهم تجلعهم لا ينظرون إلى المرأة بنظر الشهوة والطمع فيها، أو أن في إبعادهم حرج لهم ولهن،

وقد أشار العلماء إلى أن الآية ذكرت الوصف ولم تذكر النوع، وعليه فكل من لا شهوة له في النساء، فإنه في موضع الاستثناء، ويظهر أن ما ذكره المؤلف داخل في اختلاف العلماء في معنى قوله تعالى: ﴿أُوْلِي الإِرْبَةِ﴾ [26].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [27].

قال المؤلف: «وربما كان واجب الترك، وربما كان مكروها بحكمه، إذاً، يختلف بحسب شخص وشخص» [28].

● **الدراسة:**

يتعلق كلام المؤلف بحكم النكاح، فأشار إلى أن من الأحكام التي قد تعتري النكاح أن يكون واجبا، أو مكروها، إشارة منه أن حكمه يختلف بحسب ما قد يعترض الإنسان، وما أشار إليه المؤلف ذكره الفقهاء، فقالوا: إن الأصل في النكاح الندب، ويكون واجبا، إذا كان الإنسان يخشى على نفسه الوقوع في الزنا وقادرا على تكاليفه، ويكون مكروها في حق الإنسان الذي لا يشتهي النساء ولا يرجو نسلا، أو يخشى أن يؤدي النكاح إلى قطع عبادة اعتادها [29]، قال القرطبي (ت671هـ): "قال علماؤنا: يختلف الحكم في ذلك باختلاف حال المؤمن من خوف العنت، ومن عدم صبره، ومن قوته على الصبر

وزوال خشية العنت عنه، وإذا خاف الهلاك في الدين أو الدنيا أو فيهما فالنكاح حتم" [30].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [31]

قال المؤلف: «وهذه الآية دليل على أن المراد بالاستعفاف من المباح الذي هو النكاح، وظاهر الآية أن الإنسان إذا أغناه الله- تعالى- فيطلب النكاح، واستعفافه عنه نقيصة في حاله» [32].

● **الدراسة:**

أشار المؤلف إلى أن الإنسان إذا لم تكن له القدرة والاستطاعة على الزواج، سواء كانت عدم القدرة والاستطاعة مالية أو أيّ عذر آخر، فليستعفف عنه، أي: فليكن عفيفا

عنه، ومعنى الأمر بالاستعفاف هو عدم طلب النكاح حتى يرزقهم الله ما يعينهم على أمر الزواج، وأما إن كان قادرا على الزواج فإن الاستعفاف عنه يعتبر نقيصة في الإنسان، وفي هذا خالف الخروبي رأي العلماء في الأمر بالاستعفاف فذهبوا إلى أن الذين ليست لهم القدرة على النكاح وانعدمت الوسائل والأسباب التي توصلهم إلى الزواج بسبب قلة المال وغير ذلك من الظروف التي تحيط بالإنسان، عليهم أن يتحصّنوا بالعفاف وأن يصونوا أنفسهم عن الزنا وغيره من المحرمات بالصيام ونحوه، وأن يستمروا على ذلك حتى يرزقهم الله من فضله ما يستعينون به على أمر الزواج[33].

وبناء على ما تقدم يمكن أن نوجز الأحكام التي أشار إليها المؤلف في الآتي:

1- أمر الله النساء كما أمر الرجال بغض الأبصار وحفظ الفروج، وألحق المجبوب، والمعتوه، والمخنث، والشيخ الفاني، والزمن، بمن يجوز للمرأة أن تظهر الزينة الخفيفة أمامه؛ لأنهم- ومن كان على صفتهم- لا حاجة لهم غالبا في النساء أو في الوطء.

2- أن الأمر بالنكاح الأصل فيه الندب، وتعتريه الأحكام الخمسة، فقد يكون واجبا، أو مكروها، أو محرما، أو مباحا.

3- إذا كان الإنسان قادرا ومستطيعا على الزواج، فإن الاستعفاف عنه وتركه يعتبر نقيصة في الإنسان.

■ المطلب الثاني

الدلالات الأصولية ومقاصدها المستنبطة من سورة النور.

تناول الخروبي في تفسيره لسورة النور عددا من الدلالات الأصولية، التي من خلالها تبنى الأحكام الشرعية، وفيما يأتي نذكر مواضع من هذه الدلالات:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَءَالاٰخِرَةِ﴾ [34].

قال المؤلف: «وهذه الآية خاصة في أمر عائشة- رضي الله عنها- بالفاحشة ما رموها به وهي بريئة منه وتتناول الآية بعد ذلك كل من أراد أن تشيع فاحشة في المؤمنين على

الوجه الذي قصده المنافقون فالوعيد لازم لهم إن ماتوا مصرين على ذلك»[35].

● **الدراسة:**

أشار المؤلف إلى قاعدة أصولية، وهي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فورود الحكم على سبب خاص لا يمنع من عموم الحكم، وقد أشار ابن عاشور (ت1393هـ) لهذه القاعدة بقوله: «ولو تعينت لشخص معين لم يكن سبب نزولها مخصصا حكمها بمن نزلت بسببه»[36]، فإن الآية وما شملت من وعيد تتعلق بأمر عائشة (ت57هـ)، ثم بين المؤلف أن الوعيد الأليم والعقاب الشديد في الدنيا والآخرة يشمل المنافقين، ويشمل كل من رمَى المؤمنين بالفاحشة وأحب أن تشيع الفحشاء والمنكرات والرذائل والأفعال القبيحة بين المؤمنين، وهذا ما سار عليه جمهور العلماء[37].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [38].

قال المؤلف: «هذه نزلت في المنافقين وسببها فيما روي أن رجلا من المنافقين اسمه بشر، كانت بينه وبين يهودي خصومة، فدعاه اليهودي إلى التحاكم عند رسول اللّه – ﷺ – وكان اليهودي مبطلا، فأبى من ذلك...، وتعم الآية كل من كان بهذه الحال...، وتتناول الآية كل معرض عن شرع اللّه وعن رسوله»[39].

● **الدراسة:**

أشار المؤلف في هذا الموضع إلى قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فبين أن الآية نزلت في شأن تخاصم منافقيْن، ورفض أحدهما التحاكم إلى رسول اللّه، فبين أن كل من كانت هذه حاله، فإن الحكم يشمله، فكل من رفض التحاكم والرجوع إلى كتاب اللّه و سنة رسوله- ﷺ – أو أعرض عنهما في خصومة ونحوها، فإن حكمه كحكمهم، وفيه صفة من صفاتهم، فإنهم ليسوا صادقين في إيمانهم، وفي دعوى الإيمان كاذبون، فإن المؤمنين الصادقين من صفاتهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَآءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [40].

قال المؤلف: «والنهي الوارد في هذه الآية يتناول جميع الأمة؛ لاشتراكهم في هذا الحكم، والأحكام المشتركة وإن توجهت أولاً لمخصوصين، فالاشتراك يصيرها إلى العموم»[41].

● الدراسة:

أشار المؤلف إلى أن النهي الوارد في الآية يعم جميع أفراد الأمة وإن كان الخطاب للصحابة، فإن دعاء الرسول كما يدعو بعضنا بعضا بالأسماء يخلو من تعظيمه وتوقيره، وهذا الحكم يستوي فيه كل فرد من أفراد الأمة، ثم يرى إلى أن الأحكام التي يشترك في حكمها جميع الناس، فإن الخطاب وإن كان خاصا، فالاشتراك يخرجها من الخصوص إلى العموم، فوجوب تعظيم النبي- صلى الله عليه وسلم- يشترك فيه الصحابة وغيرهم، وفي هذا أيضا إشارة إلى قول الأصوليين في باب القياس: الاشتراك في العلة يوجب الاشتراك في الحكم[42].

وبناء على ما سبق عرضه وتناوله يمكن أن نوجز الأحكام التي أشار إليها المؤلف في الآتي:

1- تناول المؤلف قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في أكثر من موضع في سورة النور.

2- الخطاب وإن كان خاصا فإن الأحكام تتناول جميع أفراد الأمة، والاشتراك في الحكم تخرجه من الخصوص إلى العموم.

3- من دُعي إلى الكتاب والسنة فأعرض عنهما فهو منافق معلوم النفاق .

■ المطلب الثالث

الدلالات التربوية ومقاصدها المستنبطة من سورة النور.

من خلال تتبع تفسير سورة النور في تفسير رياض الأزهار وكنز الأسرار، تبين أن المؤلف اهتم أيضا بالجانب التربوي أخلاقيا واجتماعيا، وفي هذا المطلب وقف الباحث على عدد من الدلالات التربوية، ومن هذه الدلالات نذكر ما يأتي:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [43].

قال المؤلف: «وقد بين الله في هذه الآية ما يجب على من آمن بالله ورسوله من الطاعة للإمام واستئذانه، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمنون مع أئمتهم في الدين والعلم يسمعون ويطيعون، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوهم ويظاهرونهم ولا يخذلونهم، وينبغي للإمام أن يراعي حقوقهم، ويراعي حقوق ذوي الأعذار، ويرفق بهم، ويستغفر لجميعهم بمقتضى الرحمة والغفران»[44].

● **الدراسة:**

أشار المؤلف إلى أدب عظيم مع المعلم والشيخ والمربي، وهو أدب الاستئذان عند الانصراف من أمام حضرته، وهذا ما يستفاد من قوله: «وهكذا ينبغي أن يكون المؤمنون مع أئمتهم في الدين والعلم يسمعون ويطيعون، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوهم»، وفي هذا حفظ لحقوقهم، فالعلماء ورثة الأنبياء، فإنهم يحفظون الناس من نار الآخرة، كما ذكر المؤلف ما ينبغي على الراعي والمسؤول أن يعامل به رعيته والموظفين والعاملين معه، من حسن المعاملة والرفق واللين قولا وفعلا، وأن ييسر على الناس وظائفهم وأعمالهم، ويعينهم على طاعة الله ورسوله، ثم طاعته، واتباع أوامره، مع مراعاة أصحاب الأمراض والأعذار.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[45].

قال المؤلف: «ومثل هذه الآداب تستعمل مع وارثيه علماء الأمة وصالحيها، فيدعون بأحسن أسمائهم، ويعظمون ويوقرون، ومثل ذلك الأبوان، وشيخ الإفادة، وشيخ التربية»[46].

● **الدراسة:**

بعدما أشار المؤلف إلى وجوب توقير وتعظيم النبي- صلى الله عليه وسلم- بحسن ندائه، أشار في هذا الموضع إلى أن هذا الأدب أيضا يستعمل مع ورثة الأنبياء وهم العلماء، وأهل الصلاح من هذه الأمة، قبل تلقي العلم عنهم، فإن من آداب المسلم مع معلمه وأبيه وشيخه أن يحسن خطابه معهم ولا يدعوهم بأسمائهم، وقد أورد الإمام النووي

(ت676هـ) في كتابه الأذكار، باب: (نهي الولد والمتعلم والتلميذ أن ينادي أباه ومعلمه وشيخه باسمه)[47]، وفي كتابه رياض الصالحين، باب: (توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم وإظهار مرتبتهم)[48]، ولهذا قال أهل العلم: ولا تنادي شيخك باسمه مجردا أو مع لقبه، نحو يا شيخ فلان، بل قل يا شيخي ويا معلمي، أو يا شيخنا وأستاذنا، فإنه أرفع في الأدب، ولا تخاطبه بتاء الخطاب، وكما لا يليق أن تقول لوالدك: يا فلان، أو يا والدي فلان، فلا يجمل كذلك مع شيخك ومعلمك[49].

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[50].

قال المؤلف: «وفي هذه الآية إشارة إلى أن الإنسان قد يقول القول أو يفعل شيئا يحسبه هينا عند الله وهو عنده عظيم...، وليحفظ العبد لسانه وليتحرّ أقواله وأفعاله»[51].

● **الدراسة:**

دلّنا المؤلف بهذه الكلمات إلى خلق عظيم ينبغي أن نربيه في ذاتنا وفي نفوس أولادنا، وهو حفظ اللسان، وعدم الاستهانة بأي قول أو فعل يصدر من الإنسان، فربما يكون الفعل أو القول من أعظم الجرائم وأعظم الكبائر، فينبغي أن يعتني الإنسان بلسانه غاية الاعتناء، فإنه قد يتكلم بكلمة تكون سببا في هلاك دنياه وأخراه، وما أشار إليه المؤلف يؤيده قول الرسول- ﷺ - ((إنّ العبد لَيتكلّم بالكلمة ما يتبيَّنُ ما فيها، يزل بها في النّار أبْعدَ ما بين المشرق))[52]، ويقول النووي في هذا الباب: "اعلم أنه ينبغي لكل مكلّف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما تظهر المصلحة فيه"[53].

وبناء على ما سبق تناوله يمكن أن نوجز الأحكام التي أشار إليها المؤلف في الآتي:

1- من الآداب الإسلامية مع المعلم والشيخ والمربي الاستئذان منهم عند الانصراف، ففيه حفظ لحقوقهم.

2- من آداب المسلم مع معلمه وأبيه وشيخه أن يحسن خطابه معهم ولا يدعوهم بأسمائهم مجردة.

3- المسلم اللبيب من يحفظ لسانه، ولا يستهين بأي قول أو فعل قد يصدر منه.

■ **الخاتمة:**

من خلال دراسة الدلالات الفقهية والأصولية والتربوية ومقاصدها المستنبطة من تفسير رياض الأزهار وكنز الأسرار، فإن البحث خلص إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

1- يظهر في هذا الكتاب اهتمام الشيخ بعلوم مختلفة كالفقه، والأصول، والتربية، وغيرها من العلوم المختلفة التي هي محل للبحث والدراسة.

2- من القواعد الأصولية التي أشار إليها المؤلف، العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

3- يرى الخروبي أن الخطاب وإن كان خاصا فإن الاشتراك في الحكم يخرجه من الخصوص إلى العموم.

4- حرص المؤلف على استعمال الأسلوب الواضح في بيان الأحكام.

5- يستنبط المؤلف الدلالات الفقهية والأصولية دون التعرض إلى النزاعات الفقهية أو الأصولية.

6- لم يتوسع المؤلف في شرح ما يتعلق بالمسائل الفقهية والقواعد الأصولية، بل كان يشير إليها باختصار، ودون التعرض إلى نزاعات العلماء.

■ **الهوامش:**

1 - قام عدد من الطلبة بتحقيق هذا التفسير من خلال رسائل علمية، ينظر: البرغوثي، منهج الإمام الخروبي في تفسيره رياض الأزهار وكنز الأسرار، ص:20 وما بعدها.

2 - ينظر: مخلوف، شجرة النور الزكية، ص:284، والزركلي، الأعلام 292/6.

3 - اختلفت المصادر التي ترجمت للمؤلف في سنة ولادته. ينظر: طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 465/1.

4 - ينظر: الهرامة، شيوخ أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي، ص:8، 42.

5 - ينظر: الأنصاري، المنهل العذب 199-200، والخروبي، الأنس في شرح عيوب النفس، ص:7، 9

6 – ينظر: طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا 465/1.

7 – ينظر: الهرامة، شيوخ أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي، ص:25-26.

8 – المصدر نفسه، ص:46، 51، 63، 65، 69.

9 – ينظر: المكناسي، درة الحجال 165/2، والشفشاوني، دوحة الناشر، ص:68، والخروبي، الأنس في شرح عيوب النفس، ص:10.

10 – ينظر: كحالة، معجم المؤلفين 509/3.

11 – المصدر نفسه 509/3.

12 – ينظر: البغدادي، هدية العارفين 245/6.

13 – ينظر: كحالة، معجم المؤلفين 509/3.

14 – ينظر: الشفشاوني، دوحة الناشر، ص:114.

15 – ينظر: البرغوثي، منهج الإمام الخروبي في تفسيره، ص:10.

16 – ينظر: رفيدة، النحو وكتب التفسير، ص:975.

17 – المصدر نفسه، ص:975.

18 – المصدر نفسه، ص:975.

19 – سورة النور، الآية (31).

20 – الخروبي، رياض الأزهار وكنز الأسرار، ص:236.

21 – ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: (جبب).

22 – ينظر: الزاوي، مختار القاموس، مادة: (عته).

23 – المصدر نفسه، مادة: (خنث).

24 – ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: (فنن).

25 – ينظر: الزاوي، مختار القاموس، مادة: (زمن).

26 – ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 221/15، وأبوزهرة، زهرة التفاسير، ص:5185.

27 – سورة النور، الآية (32).

28 – الخروبي، رياض الأزهار وكنز الأسرار، ص:238.

29 - ينظر: الغرياني، مدونة الفقه المالكي 474/2.

30 - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 229/15.

31 - سورة النور، الآية (33).

32 - الخروبي، رياض الأزهار وكنز الأسرار، ص:239.

33 - ينظر: الصابوني، التفسير الواضح الميسر، ص:873.

34 - سورة النور، الآية (19).

35 - الخروبي، رياض الأزهار وكنز الأسرار، ص:216-217.

36 - ابن عاشور، التحرير والتنوير 566/30.

37 - ينظر: القطان، مباحث في علوم القرآن، ص:79-80.

38 - سورة النور، الآيتان (45-46).

39 - الخروبي، رياض الأزهار وكنز الأسرار، ص:261-262.

40 - سورة النور، الآية (61).

41 - الخروبي، رياض الأزهار وكنز الأسرار، ص:281.

42 - ينظر: البخاري، تيسير التحرير 35/3.

43 - سورة النور، الآية (60).

44 - الخروبي، رياض الأزهار وكنز الأسرار، ص:280.

45 - سورة النور، الآية (61).

46 - الخروبي، رياض الأزهار وكنز الأسرار، ص:281.

47 - ينظر: ص:368.

48 - ينظر: ص:182.

49 - ينظر: أبوزيد، حلية طالب العلم، ص:35-36.

50 - سورة النور، الآية (15).

51 - الخروبي، رياض الأزهار وكنز الأسرار، ص:215.

52 - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان، رقم الحديث (6477).

53 - الأذكار، ص:419.

■ **المصادر والمراجع:**

■ القرآن الكريم برواية قالون عن نافع.

● **أولا: الكتب:**

- الأنصاري، أحمد بك النائب، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب، (د.ط.ت).

- البخاري، محمد أمين بن محمود، **تيسير التحرير على التحرير في أصول الفقه**، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ط)، 1932م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبدالباقي، قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط1، 1400هـ.

- البغدادي، إسماعيل باشا، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط. ت) .

- الخروبي، محمد بن علي، **الأنس في شرح عيوب النفس**، تحقيق: محمد طيب إدريس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011م.

- رفيدة، إبراهيم عبد الله، **النحو وكتب التفسير**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس الغرب، ط3، 1990م.

- الزاوي، الطاهر، **مختار القاموس**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د.ط)، 1980م.

- أبوزهرة، محمد، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، (د.ط.ت).

- أبوزيد، بكر بن عبد الله، **حلية طالب العلم**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2000م.

- الشفشاوني، محمد بن عسكر الحسني، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، راجعه: عبد المجيد الخيالي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط3، 2003م.

- الصابوني، محمد علي، **التفسير الواضح الميسر**، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط8، 2007م.

- طرهوني، محمد بن رزق، **التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا**، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1426هـ.

- ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1984م.

- الغرياني، الصادق بن عبد الرحمن، **مدونة الفقه المالكي**، ط3، 2005م.

- القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006م.

- القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط13، 2004م.

- مخلوف، محمد بن محمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الفكر، (د.ط.ت).

- المكناسي، أحمد بن محمد، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، 1971م.

- ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسن الله، هاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د.ط. ت).

- النووي، يحيى بن شرف النووي، **الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار**- صلى الله عليه وسلم- تحقيق: أحمد عبد الله باجور، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1988م.

- الهرامة، عبد الحميد عبد الله، **شيوخ أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي**، دار أصالة، بيروت، ط1، 1999م.

● ثانيا: الرسائل العلمية:

- البرغوثي، محمد مصباح، **منهج الإمام الخروبي في تفسيره رياض الأزهار وكنز الأسرار**، رسالة دكتوراه، مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة، (د.ط)، 2018م.

- ضو، موسى حسن، **رياض الأزهار وكنز الأسرار**، محمد بن علي الخروبي، تفسير سور (الحج، المؤمنون، النور)، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير، جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم، ترهونة، 2008م.